رمضانيات من قلب التغيير

المدن اليمنية تنهض من تحت الركام

الجمهورية

الاحد ٥ شعبان ١٤٢٥هـ الموافق ١٩ سبتمبر ٢٠٠٤م العدد (١٤٥٥٧)

Sun . 19 Sep 2004 ..5/8/1425 - No (14557)

منظر جانبي لمدينة تعز من جبل صبر

نمت في أحضان تعز شجرة الثورة المباركة

▫ عاشت مدينة تعز خلال فترة حكم الأئمة ماضياً مريراً رغم اتخاذها من قبل الإمام أحمد عاصمة لحكمه بعد أن تمكن من قمع ثورة ١٩٤٨م واستعاد زمام الحكم .. المدينة الحالمة ظلت بين أسوار الطغاة تعاني من الظلم والقهر والعبودية والاضطهاد والجهل والمرض والحرمان والتخلف المريع بكل أشكاله معزولة عن العالم وبقيت خارج إطار التحولات الحضارية النشطة تبدأ أمورها بطرق وأساليب بدائية وبتعمد من الإمام لفرض تجهيل أبنائها كما قام بتحويل المدينة إلى ثكنة عسكرية للعكفة ومنشآتها التاريخية إلى سجون وأماكن مغلقة لاحتجاز الرهائن من أبناء الشعب وجعل من المدرسة الأشرفية مدبغة للجلود والعرضي صالة نقاط مراقبة .. كما اتخذ من جبال حذران وقلعة القاهرة والكريفة وصبر مراكز حماية حتى لا يتزعزع أركان حكمه بعد أن اكتشف أن مدينة تعز ملاذاً آمناً لخلايا سرية تسعى للإطاحة بحكمه وخاصة بعد أن أحبط حركة ١٩٥٥م .. في حين كانت مدينة تعز تفتقر إلى أبسط وسائل التطبيب والعناية الصحية فكانت الأمراض تنتشر من يوم إلى آخر وتحصد أبناءها مما أضطر السكان إلى اللجوء إلى الدجالين للمعالجة بطرق الشعوذة والاعتقاد بالشفاء من المرض لن يكون إلا بزيارة القبور التي كان السفر إليها يتطلب أياماً على ظهور الحمير أو الجمال لعدم وجود الطرق وغياب الوعي الناجم عن عدم انتشار التعليم.

استطلاع وتصوير /عبدالله بجاش

أزمة التعليم

لم يكن يوجد في تعز سوى مدرسة واحدة فقط وكانت خاصة بأبناء المقربين من حكم الطاغية أحمد ومع ذلك تفتقر إلى مقومات التعليم والنظام التعليمي أو منهج دراسي بينما كان أبناء البسطاء من أهالي تعز يعتمدون في دراستهم على ما كان يسمى بالمعلامات وأشهرها كانت «معلامة قشمر» وهي عبارة عن حجرات تشبه الاسطبلات بها يقوم شخص واحد ذو معرفة محدودة بالقراءة والكتابة على تعليم الطلبة قراءة القرآن والقليل من الإملاء والخط ورغم ذلك كانت محصورة على الذكور دون الإناث وكان طلاب المعلامة يعتمدون في دراستهم على الألواح الخشبية والأقلام المبرومة من النورة أو القص أما مسح اللوح فكانوا يستخدمون الأشجار الخضراء ومنها شجرة «الغرمل» وذلك لندرة وجود الأقلام والدفاتر وإن وجدت لا يمتلكها سوى أبناء المقربين من الحكم وكما يقول الحاج هيكل سالم صاحب حانوت ما زال صامداً أمام بوابة قصر صالة : كنت أسافر من صالة إلى المدينة للدراسة في المعلامة من الصباح الباكر وكانت الدراسة لمدة ساعة ونصف فقط بمعلامة قشمر أما العودة إلى البيت فأصل قبل آذان المغرب بدقائق وللمذاكرة كان يستغل رحلة العودة إلى البيت في قراءة ما في اللوح من واجب أكثر من مائة مرة طوال الطريق لأن الطالب في ذلك الزمان لا يستطيع المذاكرة في البيت لعدم وجود أضواء الكهرباء والتي لم يعرها حكم الأئمة أي اهتمام بالنسبة لبسطاء الناس.

في مدينة تعز كغيرها كان المواطنون يستخدمون الفوانيس والنوارات التي تشعل بواسطة القاز «الكيروسين».

وغالباً ما كانت الفوانيس تستخدم أثناء خروج النساء ليلاً لجلب المياه من صبر عبر سواقي مكشوفة معرضة للجراثيم والأوبئة تجرف في طريقها الأوساخ والميكروبات المؤدية إلى الأمراض تلك المياه الملوثة كانت المصدر الرئيسي للشرب لمعظم الأحياء السكنية في تعز لذلك كانت النساء تلهث وراءها ليتم استجلابها وإن يكن من مسافات بعيدة .. هكذا كان واقع وحال مدينة تعز طوال فترة حكم الأئمة.

عبث بالتاريخ

حديث الحاج هيكل دفعني للإنطلاق والوقوف في كل مكان له ذكريات الماضي في مدينة تعز دون أن أغفل زيارة مدرسة الأشرفية ، وكل زائر لهذه المدرسة لا بد أن يترحم على شهداء ثورة ٢٦ سبتمبر الذين سقطوا من أجل تخليص الشعب من جبروت الإمامة والذي جعله يقترف عمداً تحويل مدرسة الأشرفية العلمية التاريخية الجزء الغربي منها إلى مدبغة للجلود والجزء الشرقي الواقع تحت المبنى إلى مخازن للبترول والكيروسين ، وبعد انتصار الثورة المباركة أعيد للمدرسة مكانتها التاريخية العلمية ونشاطها التعليمي وسميت بمدرسة العهد الجديد مع أن المدرسة الأشرفية هي إحدى المدارس الإسلامية التي أنشئت في أيام الدولة الرسولية في تعز بأمر السلطان الرسولي إسماعيل بن العباس بن علي بن داوود بن يوسف بن عمر بن علي رسول سنة ٨٠٣هـ وهذا الأمر منحوتاً على عتبة باب المدرسة.

«الشبكة»

سجن «الشبكة» يقع في ميدان الأشرفية بحي المدينة اتخذه الإمام سجناً لزج المناهضين لحكمه داخل أسواره دون أدنى رعاية أو توفير يذكر للاحتياجات..!

فكان الخارج منه يعتبر مولوداً إذا لم يخرج منه جثة هامدة أو ينجو من أمر الإعدام بسيف الوشاح .. وكان من ينظر إلى سور السجن يشاهد الموت بعينه وظلت «الشبكة» كابوساً على القاطنين في محيطها أو العابرين من جوارها حتى بعد قيام الثورة مما جعل القيادة السياسية في بداية التسعينيات توجه بإزالتها والبناء على ساحتها مجمع تربوي تعليمي ونفذ ذلك وتم بناء مجمع التربوي النموذجي للتعليم الأساسي والثانوي ويحتوي على ٣٤ شعبة دراسية علمي وأدبي .. بالإضافة إلى مكتبة و٣ معامل علمية حيث تتلقى فيه العلم والمعرفة أكثر من ٢٠٠٠ طالبة في الفترتين الصباحية والمسائية على يد أكثر من ١٣٠ معلمة هذا المجمع التعليمي.

أفرح قلوب أبناء الحي الذين سعدوا ببنائه لتعليم الفتيات اللائي حرمن من أمهاتهن في عهد الأئمة من التعليم.

وجاء بناء هذا التجمع التربوي النموذجي في إطار توجه الدولة في تحويل بعض منشآت قمع الإمامة إلى تجمعات تعليمية كما حدث في تحويل جزء من مساحة المقام والنقل في العرضي إلى كلية آداب وتربية بهدف القضاء على الأمية ونشر التعليم بين أبناء تعز.

الحوبان

محاولات القضاء على حكم الأئمة كانت شرارتها الثانية بعد ١٩٤٨م من منطقة الحوبان والزائر إلى مدينة تعز لا بد أن يدهشه تاريخ ذلك المكان والذي لمع إسمه عام ١٩٥٥م إثر انطلاقة الحركة المسلحة بقيادة المقدم أحمد الثلايا بمساعدة عدد من الضباط الأحرار الذين قاموا بمحاصرة قصر الإمام وقصفه لإجبار الإمام على التنازل عن العرش لأخيه إلا أن الطاغية أحمد وكما عهدوه استخدم سياسة الخداع وتمكن من القضاء على الحركة وإعدام رموزها وفي مقدمتهم المقدم أحمد الثلايا كما أعدم أخويه عبدالله والعباس وقضى بالسم على أخويه الآخرين القاسم ويحيى من أجل ضمان تفرد البقاء على السلطة وإظهار الرعب في مدينة تعز دون أن يدري أن فشل تلك الحركة فتح آفاقاً جديدة لتعميق إرادة الشعب وقد كانت المرة الأولى التي يصنع الجيش فيها بداية تحوله من آلة سلطان إلى آلة شعب وبداية ثورة ضد السلطة .

شاهد عيان

ويروي الحاج سعيد أحمد الحاج ٧٨ عاماً من أبناء خدير والذي عاش في الحوبان منذ كان في الخامسة من عمره قائلاً: رغم مرور الزمن ظل الحوبان ملتصقاً بالمدينة بالمباني والطرق والخدمات.

ويتابع : لم يغب عن ناظري وذاكرتي همجية عكفة الإمام أحمد عندما هاجموا قرية الحوبان وقاموا بضرب مواطنيها وتقطيع أشجارها وإحراق عجولها وسحب الأبقار والأغنام والدجاج إلى بين النيران دون رحمة أو إنسانية.

ويقول أيضاً: لا يزال عويل النساء والأطفال عالقاً برأسي واستعيده كلما يأتي زبون من أبناء تلك القرية لشراء حاجته من دكانه .. وكم فرحت عندما علمت من العابرين من الحوبان إلى عدن بأن قصر الإمام بالعرضي محاصر من قبل العسكر ويتعرض لإطلاق النار وظليت أدعي لهؤلاء العسكر من قلبي بالتوفيق للإطاحة بالإمام وحكمه وكم حزنت عندما سمعت بفشل محاولة قتل الإمام وإخماد الحركة وإعدام قادتها وكم أنا سعيد اليوم مع أحفادي بانتصار الثورة وبهذا التغيير الذي يجري في الحوبان وتحول من قرية قاحلة إلى عمارات ومدارس ومصانع في حين لم أكن أتوقع أن هذا التطوير سيحدث في الحوبان والذي يبشر باستمرار مسيرة العطاء.

الباب الكبير

جانب من متنزه تعز في جبل صبر

▫ شهود عيان على عهدين : لم نتوقع هذا التحول الهائل

«الشبكة» من سجن مرعب إلى مجمع تعليمي

تعز.. تاريخ الثورة مكتوب في كل الزوايا..

المدرسة الأشرفية تستعيد مكانتها التاريخية بفضل سبتمبر

هناك التقى الثوّار وتعانق المناضلون وارتصت أيدي البيعة بتخليص الوطن من المشاهد المأساوية للحكم الإمامي والتي اتخذت تعز مسرحاً لدراماها السيئة